أبعاد المكان في ديوان " في البدء..كان أوراس" لعز الدّين ميهوبي

The dimensions of the place in Diwan "At the beginning.. Aurès " For Ezz El Din Mihoubi

أ. سارة محفوظ
جامعة البويرة، الجزائر
Sarhamahfoud1992@gmail.com

أ. كريمة فراجي
جامعة البويرة، الجزائر
Karima.faradji@gmail.com

تاريخ الإرسال:2021/03/19، تاريخ القبول: 2021/12/22، تاريخ النشر: 2021/12/31

الملخّص:

إن الحديث عن جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر هو حديث شاسع، باعتبار أن هذه الجمالية مرتبطة بعدة عناصر، ومن هذا المنظور فإن جمالية المكان مرتبطة بالبحث عن العناصر التي تشكل جماليته وتحوله إلى فضاء جمالي، وفي هذا الصدد سيتم التركيز على عناصر مهمة أسهمت بشكل كبير في تحقيق الجمالية المكانية في الديوان لكي يكتسي أبعادا شتى وجماليات فنية ينتقل بها من المستوى العادي إلى المستوى الشعري الفني.

كلمات مفتاحيّة: المكان، الأبعاد، الشعر الجزائري المعاصر، الجمالية.

Abstract:

The talk about the aesthetics of the place in contemporary Algerian poetry is a vast talk, considering that this aesthetic is linked to several elements, and from this perspective, the aesthetic of the place is linked to the search for the elements that constitute its aesthetic and its transformation into aesthetic space, and in this regard will be focused on important elements that have contributed greatly In achieving the spatial aesthetic in the Diwan, in order to acquire various dimensions and artistic aesthetics, it is transferred from the ordinary level to the poetic artistic level.

Keywords: The place, dimensions, contemporary Algerian poetry, aesthetic.

*المؤلف المراسل:سارة محفوظ، الإيميل:Sarhamahfoud1992@gmail.com

1- مقدّمـــة:

يعد المكان من أهم العناصر المهيمنة في القصيدة الجزائرية المعاصرة بحيث أعطى الشاعر الجزائري كامل الأهمية لهذا العنصر، باعتباره مرتبطا بذات الشاعر، غير أن المكان لا يأتي بمعزل عن العناصر الجمالية الأخرى، فلا يمكن أن يكون منفردا ذا وظيفة جمالية معزولة عن وظائف العناصر الأخرى، لأن وظائف العناصر البنائية الأخرى للنص الشعري تخدم جمالية المكان ووظيفته، فكل عنصر يؤدي وظيفة ما، وهذه الأخيرة تؤثر على المكان وتساعد الشاعر في التعبير عما يريد قوله، كاللغة مثلا فهي تحمل وظائف جمة، ولعل أهم وظيفة تقوم بها في النص الشعري هي الوظيفة الشعرية أو الجمالية.

كما يعد من أهم العناصر التي يرتقي بها النص الشعري إلى مصاف الجمالية، في الشعر العربي عامة والجزائر خاصة، ونظرا لأهمية هذا العنصر في الشعر تعددت تعريفاته في النقد الحديث، وتنوعت كذلك مصطلحاته ما بين المكان والفضاء، فالأول واقعي بحت على خلاف الثاني الذي يعد شعريا فنيا يملك أبعادا عديدة.

وتجدر الإشارة إلى أن المكان في الشعر الجزائري المعاصر ليس مكانا اعتباطيا، فالشاعر لا يذكره عشوائيا لكي يصفه وصفا موضوعيا، وإنما لكي يعبر من خلاله عن أبعاد وخلفيات، ويحملـــــه دلالات جمة،" فالمكان يملك على الشاعر نفسه، حتى استطاع من خلال تكراره أن يجعلـــــه رمزا مهما"[1]، وعلى هذا الأساس يعد المكان رمزا يدل على أبعاد شتى، ودلالات مختلفة تتجاوز البعد الجغرافي إلى أبعاد تفهم من خلال النص الشعري فلا يمكن القبض على دلالة المكان، لأنه من جهة يعبر عن نفسية الشاعر، ومن جهة أخرى يعبر عن أفكاره ورؤيته للعالم، وعن دينه و تاريخه، فالسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو ما هي أهم تلك الأبعاد التي تجعل من المكان يقتحم عالم الفن والشعر من خلال المنهج الوصفي التحليلي؟

2- **أبعاد المكان في ديوان عز الدين ميهوبي:**

أولا: البعد النفسي الاجتماعي:

يحمل المكان في ديوان" في البدء.. كان أوراس" بعدا نفسيا اجتماعيا، إذ لا يمكن الفصل بين الجانب النفسي والجانب الاجتماعي، لأنهما مرتبطان ومتلازمان، حيث عمد الشاعر إلى توظيف المكان كمعادل موضوعي للتعبير عن نفسيته، وعن مجتمعه وأدّت اللغة دورا كبيرا في ذلك،" فاللغة تمنطق المكان وتجعله علامة متميزة في النص الشعري وتشحنه بمحمولات فكرية."[2]

يعبر المكان بالدرجة الأولى عن ذات الشاعر، لأنه قبل أن يعبر عن الايدولوجيا يعبر عن نفسه أولا،"فالعمل الشعري ليس مجرد انعكاس نفسي- ذاتي- كما أنه ليس مجرد انعكاس واقعي اجتماعي إنه قبل كل شيء مركب إبداعي يصدر عن مركب إنساني"[3]، فهو يعبر في البداية عن هذا الإنسان، ثم عما يدور في خلده من أحاسيس ومشاعر، ثم علـــــى المحيط الذي يعيش فيـــه،" فالعلاقة مبنية على مبدأ التجاذب والتقاطب والتأثير والتأثر والتفاعل بين الشاعـــــر و المكان."[4]

يؤثر المكان بشكل كبير على الشاعر الذي يملك نفسا حساسا ومرهفا لذلك" ليس الهدف تصوير المكان كمكان بقدر ما يرغب في الكشف عن العلاقة النفسية بين الإنسان و المكان."[5]

لو تأملنا ديوان عز الدين ميهوبـــــي لوجدنا أن الأوراس بالنسبـــة إليـــــه هو الأحاسيس، الأمل، التفاؤل، الفخر...إلخ، فالمكان/الأوراس يحمل بعدا نفسيا عميقا، لأنه ترجمة لوجدان الشاعر، يقول:

أَوْرَاسُ! فَجّرَنِي هَوَاكِ.. وَمَا دَرَتْ

هَذِي الضُّلُوعُ بِأَنَّ جَمْرَكِ مُلْهِـــمٌ

قَلْبِي.. وَقَلْبي.. وَالجَوَارِحُ كُلُّهَا

نَطَقَتْ.. وَرَجْعٌ لِلصَّدَى.. يَتَكَلَّمُ[6]

فمن خلال هذه الأبيات يتضح لنا مدى حب الشاعر للأوراس.

تجاوز الشاعر حب هذا المكان إلى درجة العشق يقول:

أَوْرَاسُ..

جِئْتُكِ مَرَّتَيْنِ..

وَمَا عَشِقْتُ سِوَى شُمُوخِكِ.. (7)

فهو مرتبط بهذا المكان ومتعلق به، ووجدانه وعاء ضم هذا المكان، حيث عبر عن ولعـــــه وحبه الشديدين للجزائر عامة والأوراس خاصة، إضافة إلى أن كل الأمكنة الموجودة في ديوانه تحمل أبعادا نفسية عميقة، وبالخصوص التعبير عن مدى احترامه وحبه لفلسطين.

اضطلعت الأمكنة بدور كبير في تعرية مشاعر الشاعر،" فبإمكان الفضاء أن يكشف لنا على الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية، بل وقد يساهم في التحولات الداخلية التـــي تطرأ عليها"(8)، فمن خلال الفضاء الدلالي نفهم أحاسيس الشاعر تجاه مكان ما،إذ إن" الأماكن هي التي سيوكل إليها مساعدتنا على فهم الشخصية."(9) فلو أضفى الشاعر مشاعره وأحاسيسه على مكان ما، وبالخصوص إن كانت نظرة إيجابية لهذا المكان، فستتجلى تلك الرؤية إليه، أما إذا ترجم مشاعره السلبية تجاه مكان معاد فحتما تظهر مشاعره العدائية تجاهه.

وعلى هذا فقد أصبح المكان فضاء دلاليا نفسيـــــا معبرا و"خزانا حقيقيـــــا للأفكار والمشاعـــــر والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر كل طرف فيها علـــــى الآخر"(10)، كالعلاقة بين الشاعر والأوراس، حيث ترك هذا المكان أثرا نفسيا عميقا عند الشاعر،لما يحمله(الأوراس) من ميزات أثرت فيه، وعلى هذا الأساس قام الشاعر بتحويل المكان من صفته العادية إلى فضاء جمالي محشو بالدلالات _النفسية خاصة،إذ "يحمل المكان ذات الشاعر،لأنه ارتفع به من مجرد حيز جغرافي جامد إلى حيز لغوي ينبض بالحركة والحياة."(11)

كما أن المكان لا يعبر عن معاناة ونفسيـــــة الشاعر فقط، وإنما يعبر عن الجماعة ككـــــل، "فالمعاناة النفسية كانت شاملة لا تقتصر على شاعر دون آخر، لأن الخلاص لا يكون إلا جماعيا، والشاعر الجزائري المعاصر آمن بذلك وسعى إلى تحقيقه"(12)، فمن المعروف أن الشاعر دائما ينوب عن الجماعة، إذ يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، ويعبر عن معاناتهم ومأساتهم، ويتفهم نفسيتهم الفرحة أحيانا، والحزينة أحيانا أخرى.

ويجب التنويه إلى نقطة مهمة وهي بما أن الشاعر لديه جملة من العواطف و الأحاسيس تجاه أمكنة معينة، فتجدر الإشارة إلى أن انتقال الشاعر من مكان إلى آخر ينتج عنه انتقال على المستوى النفسي،" لقد انتقل الشاعر من مكان جغرافي إلى آخر، وهذا الانتقال المكاني فرض انتقالا نفسيا."(13)

يتجلى هذا الانتقال النفسي في ديوان الشاعر، لأنه في كل مرة ينتقل من مكان إلى آخر، بداية من الأوراس ثم يتوسع إلى الجزائر، ثم فلسطين والوطن العربي ثم إلى الغرب(فرنسا و أمريكا)، إذن هذا الانتقال هو انتقال نفسي، فكل مكان من تلك الأمكنة يحمل بعدا نفسيا عميقا، فالأوراس رمز حب الشاعر الأصلي، والجزائر تمثل الاستقرار النفسي والطمأنينة، وفلسطين تعبر عن مدى حب الشاعر لهذا المكان، وعن مساندته ومساندة الشعب الجزائري ككل للقضية الفلسطينية، أما أمريكا وفرنسا فهما مكانان يحملان بعدا نفسيا مخالفا تماما، وهو تلك النظرة العدائية تجاههما.

يكتسي كل مكان بعدا نفسيا خاصا به و بموقف الشاعر تجاهه، و اختلاف الأمكنة هو في حقيقة الأمر اختلاف على المستوى النفسي لها، لأن الشاعر في ديوانه انتقل من بعد نفسي إلى آخر انتقل مثلا من نفسية مرتاحة ومحبة للمكان، إلى نفسية منزعجة بمجرد ذكر اسم ذلك المكان، لما فيه من خلفيات أثرت على نفسية الشاعر .

إن الحديث عن البعد النفسي هو حديث عن البعد الاجتماعي حيث" تجلت الدلالات النفسية والاجتماعية في المتن الشعري الجزائري المعاصر في الشعر المتعلق بالمكان... فالدلالة النفسية هي محصلة الدلالة الاجتماعية."(14)

إن الأمكنة الموجودة في الديوان تعبر كذلك عن مجتمع أمة ما، ومثال ذلك تعبير الشاعر عن المجتمع العربي باستخدام أمكنة عربية عديدة كالقدس، بغداد، سوريا، لبنان...إلخ، يقول مثلا:

كَانَتْ– فَلَسْطينُ وَالجُولاَنُ– كَانَ هُنَا

وَمِصْرُ– كَانَتْ وَكَانَ الأَرْزُ– لُبْنَانَا (15)

فكل هذه الأمكنة(فلسطين، مصر و لبنان) تعبر عن واقع ومجتمع الأمة العربية، ومن هنا" يعد المكان الجغرافي مكونا أساسيا يضاف إلى المكونات الأخرى، بما فيها النفسية والاجتماعية"[16]، وهنا تكمن الجمالية عندما يبدأ المكان بعملية التجاوز.

إن البعد النفسي مرتبط بالمكان من عدة زوايا، فمن جهة يعبر عن نفسية الشاعر ومن جهة أخرى يصبح المكان نفسيا، بمعنى "إن المكان العادي يتحول إلى فضاء محلوم به ، فالمكان الجدير بالقراءة هو المكان المقبوض عليه بواسطة الخيال، لأنه مكان متعدد الأبعاد يثير بدوره خيال القارئ كما يثير مشاعره المختلفة."[17]

إن عز الدين ميهوبي في ديوانه، انتقل من هذا الواقع العربي المرير إلى واقع وأمكنة يحلم بالعيش فيها، فعندما يصف الجزائر فهو يصف في الحقيقة الجزائر التي يحلم بالعيش فيها،" فالمكان الذي يهم الشاعر هو المكان النفسي، المكان الذي يتخيله أو يحلم به أو يعيش تجربته."[18]

إن الشاعر يأمل بتغيير الأوضاع التي يعيشها العرب عامة، و لكنه رأى أن هذه الأوضاع من الصعب تغييرها، فقام بإنشاء عالم خاص به في نفسه يتلاءم و الظروف التي يحلم بالعيش فيها، وعلى هذا الأساس أصبح للمكان بعدا نفسيا بحتا،" و نشير إلى البعد النفسي (للمكان) داخل النص وداخل الصورة الشعرية إلى جانب وظائفه الفنية وأبعاده التي ترتبط بالمكان ولا تفارقه."[19]

ثانيا: البعد الوطني السياسي :

إن المكان في الديوان يحمل أبعادا شتى، فالبعد الوطني السياسي كان مهيمنا على المكان، باعتباره عبر عن أفكار الشاعر السياسية، كما حمل دلالة الوطن،"حيث أصبح الوطن هو محور النص الشعري...بل إن الشاعر هو الوطن، يعبر بلسانه عنه ويحلم مكانه"[20]، فالمكان عبر عن الوطن والسياسة، ومن هنا"تجلى البعد السياسي والوطني بوضوح في النص الشعري الجزائري المعاصر، وإن اختلفت دلالات ذلك من شاعر إلى آخر."[21]

لقد تجاوز المكان بعده المحدود إلى بعد يعبر عن إيديولوجيا وسياسة معينة، وإذا نظرنا إلى هذا البعد عند عز الدين ميهوبي، نجد بأنه الجوهر المهيمن مقارنة بالأبعاد الجمالية الأخرى.

إن المكان بدوره عبر عن وجهة نظر سياسية، فكان الوسيلة التي بها بلغ الشاعر سبيله، باعتبار أن الجزائر مرت بظروف سياسية قاهرة، ولهذا"تعددت دلالات الوطن في النص الشعري، وهذا التعدد ناتج عن اختلاف التوجهات الفكرية والرؤى السياسية للشعراء."[22] فمن المؤكد أن لكل شاعر أفكاره السياسية وتفكيره الخاص، ومن هنا تختلف دلالات المكان من شاعر إلى آخر، فكل مبدع يوظفه وفق منظوره ورؤيته الخاصة، فالمكان عبر عن الوطن، والوطن بدوره يحمل أبعادا شتى:

أ_الانتماء والهوية:

يحمل الوطن بالدرجة الأولى مفهوم الانتماء والهوية، أي المكان الأصلي الذي ينتمي إليه الإنسان، وهويته الأصلية التي يفتخر بها، فالجزائر عند الشاعر تمثل الوطن وتعبر عن انتمائه،" فالمكان/الجزائر هي الذات الجمعية أو هي الانتماء والهوية والثقافة."[23]

إن الشاعـــــر فـــــي ديوانه عندما وصف الجزائر، فـــــي حقيقة الأمر وصف انتماءه وهويته، وعندما افتخر بهذا المكان الغالي، فقد افتخر بانتمائه العريق إليه، يقول:

طَلْقَةٌ..لِلْفَجْرِ أَعْلَنَتْ انْتِمَائِي

فَلْيَمُتْ..يَا نَارُ..مَنْ يَهْوَى الظَّلَامَا[24]

ب_ التيه و الفقدان:

لقد عبّر المكان في هذا الصدد عن التيه والضياع، بمعنى إن الشاعر تائه في هذا المكان الذي تغيرت ظروفه، ولو لم تتغير لما ضاع فيه،" فقد حملت القصائد المكانية الوطنية دلالة التيه والفقدان."[25] وكأن الشاعر فقد وطنه بالرغم من أنه موجود فيه، إلا أنه مفقود

فـــي ذاتـــــه ونفسه، بحيث يصبح الشاعر غريبا في وطنه و ضائعا فيه، وعبّر عز الدين ميهوبي عن هذا الضياع في قوله و هو يخاطب الأوراس:

جِئْتُ مَحْمُولاً..كَأَنَّ القَلْبَ تَاهْ..

وَارْتَوَى مِنْ خَمْرَةِ الجُفْنِ..الحَصِيدْ[26]

ج _الأمل و التفاؤل:

لقد حمل المكان عند الشاعر دلالة الغد المشرق، فبالرغم من الأوضاع التي يعيشها العرب إلا أنه متفائل، فالوطن إذن يحمل"دلالة الفرح والغد المشرق والأمل في يوم جديد ووطن الانتصـــــار والنهوض."[27]إن الوطن عند شاعرنا هو الشمس التي تشرق كل صباح، يقول:

غَدًا تَخْرُجُ الشَّمْسُ مِنْ كُلِّ كَفّ

لِتُعْلِنَ لِلْكَوْنِ عَنْ مَوْلِدي.[28]

فالشمس والوطن واحد عند عز الدين ميهوبي، والمكان عنده هو" الزمان، الوطن، الحلـــــم والفتاة الجميلة."[29]

فالمكان إذن عبر عن مدلولات جمة، فهو الوطن، والوطن بدوره عبر عن أبعاد كثيرة، ذكرنا بعضها، لذلك فقد أسهم المكان بشكل كبير في التعبير عن السياسة_الجزائرية خاصة_ فعندما ردد الشاعر كلمة **الأوراس**،فهذا المكان يعبر عن حدث سياسي مهم هو انطلاق الثورة الجزائرية المجيدة، "فالأوراس تحولت إلى مكان رمز ومنح الثوار القوة ليصنعوا زمنهم، متحدين زمن الحرب الذي فرضه عليهم الفرنسيون."[30]

لقد ذكر الشاعر في ديوانه عدة أمكنة تدل على بعد سياسي بحت، كالجزائر، الأوراس، معسكر(التي تعد مسقط رأس الأمير عبد القادر)، وهران، جرجرة...إلخ ،كما لم يكتف الشاعر بالتعبير عن القضايا السياسية في الجزائر، وإنما عبر عن أحداث سياسية عربية من خلال أمكنة معينة أهمها:

أ_فلسطين:

لقد لاقت فلسطين اهتماما كبيرا من قبل عز الدين ميهوبي، إذ عبر عن القضية الفلسطينيـــة وعن صمود الفلسطينيين ضد الاستعمار الصهيوني،"فالأوضاع التي تعيشها فلسطين قد رسمت حدودا جديدة لهذا المكان"[31]، فأصبح رمزا للكفاح و الصمود، يقول:

لَنْ يُعِيدَ القُدْسَ..غَيْرَ اللهُ لَكِنْ..

كَمْ إِلَهٌ..صَارَ فِي الأَرْضِ افْتِرَاعَا[32]

فالقدس تعبر عن جانب سياسي غامض، عن قضية منسية، يكتنفها الظلم والجور تجد من يدافع عنها ضد المستعمر اللعين.

ب_ بغداد:

لقد عبّر الشاعر عن قضية أساسية مهمة، جرت أحداثها في العراق(بغداد)، حيث"تحكمت الظروف السياسية إبان ثورة العراق التي كانت في تموز عام 1958 في رسم الشاعر لصورة بغداد."[33]

لقد عرفت بغداد انقلابات وعواصف سياسية جمة إلى يومنا هذا، والشاعر وظف هذا البعد وأجراه في المكان الذي عبر إلى حد كبير عن الخبايا السياسية، يقول:

بَغْدَادُ تُعْلِنُ مَوْتَهَا وَالنَّفْطُ يُعْلِنُ لِلْجَمِيعِ نِهَايَةَ الوَطَنِ [34]

ج_ مصر:

حمل المكان/مصر دلالة سياسية، بحكم الأحداث السياسية التي جرت في مصر، حيث" كانت مصر مسرحا للصراعات السياسية بعد نشوب الثورة"[35]، وهي كغيرها من الدول العربية التي عانت كثيرا، يقول مثلا:

كَانَتْ_فَلَسْطِينُ وَالجُولَانُ_كَانَ هُنَا

وَ _مِصْرُ_كَانَتْ وَ كَانَ الأَرْزُ _لُبْنَانَا_[36]

د_ دمشق:

بحكم الأحداث القاسية التي جرت في دمشق(سوريا)، وتعرضها للاستعمار الإنجليزي، كل هذه الظروف عبر عنها المكان بطريقة جمالية،" فدمشق رمز الثورة، والنور الذي يضيء سماء الدول العربية."[37]

يقول الشاعر:

مَنْ لِي بِجَلَّقْ* كَيْ أُسْبِي ضَفَائِرَها

لَكَمْ سَبَتْكُ..وَفَاضَ الدَّمْعُ وَ دِيَانَا[38]

إن كل الأمكنة العربية التي وردت في الديوان، حملت في طياتها دلالات سياسية عميقة، وخلفيات إيديولوجية، فكل مكان مرتبط بحدث سياسي معين، والشاعر يرسم هذا المكان المتلبّس بالسياسة وفق منظوره الخاص.

إضافة إلى الأمكنة استعمل الشاعر أسماء الإشارة التي تدل على المكان، كقوله:

وَهُنَاكَ..يَجْلِسُ لِلسِّيَاسَةِ حِقْدُهَا..

مَلِكًا يَصِيرُ حُكْمُهُ طُوفَانَا[39]

فالجلوس لا يكون إلا في مكان ما، واسم الإشارة"هناك" يدل على وجود شيء ما في مكان معين، فقد صرح الشاعر بمكان مخفي بطريقة غير مباشرة، وترك ما يدل على ذلك(هناك،يجلس)، وهذا المكان بدوره مرتبط بسياسة حاكم ظالم والذي يعبر في حقيقة الأمر عن الحكام العرب.

ثالثا: البعد التاريخي الديني

مثلما عبر المكان عن نفسية الشاعر ومجتمعه، وعن أفكاره السياسية، فقد عبّر كذلك عن تاريخه العريق وعن دينه الحنيف،" فالنص الشعري وليد شرطيه التاريخي والديني، ينطلق منهما ليعبر عنهما معا"[40]، إذ لا يخلو عمل أدبي(شعري) من مرجعية تاريخية دينية، حتى

ولو لم تصرح بطريقة مباشرة، إلا أنها ضمنية، فالمكان يحمل بعدا تاريخيا هاما، إذ لا يخلو مكان ما من تاريخ معين، فهما مرتبطان،" فكل مكان له حمولته التاريخية والدينية، وذاكرته الجماعية مرتبطة بفكر وعقيدة الأمة وبالتاريخ العام للإنسانية"[41].

إن استلهام التاريخ من قبل الشاعر وتوظيفه في شعره، لا يعد نقصا فنيا أو عيبا و"العودة إلى التاريخ ليس المقصود منه إعادة كتابة هذا التاريخ بأحداثه ووقائعه الحرفية، فهذا ليس عمل الشاعر."[42]

لقد استثمر عز الدين ميهوبي التاريخ الجزائري كموضوع، ثم عبر عنه بطريقة فنية جمالية عن طريق لغة ساحرة وصور فنية إبداعية ووظف المكان كعنصر هام في ذلك، فالأوراس يعبر عن تاريخ الجزائر، والديوان ككل عبر عن تاريخ أمم مختلفة، والتاريخ الجزائري من خلال ذكر أسماء تاريخية كالأوراس، الأمير عبد القادر...إلخ.

لقد تغنى الشاعر بتاريخه العريق، قال مثلا:

وَخَضّبِي بِتُرَابِ الأَرْضِ مَلْحَمَةً

تَنْمُو عَلَى شَفَة التَّارِيخِ نُورُ غَدِ[43]

إن اهتمام الشاعر بالأوراس راجع إلى أن"الأوراس هو تاريخ الجزائر المعاصرة، ونقطة التحول والانتقال من وضع إلى وضع آخر، ومن تاريخ إلى آخر"[44]، هذا ما يدل على افتخار الشاعر الجزائري بتاريخه المشرف،" فعودة الشعراء الجزائريين إلى توظيف الرمز التاريخي الأوراس أو غيره من الرموز التاريخية، دلالة على التشبث بالأرض وبالجذور."[45]

إن الأمكنة الجزائرية الموجودة في الديوان، تحمل بعدا تاريخيا بحتا_تاريخ الجزائر_، كما حملت الأمكنة العربية الأخرى دلالات تاريخية عميقة، فالقدس التي كان لها حظ وافر في هذا الديوان، تحمل بعدا تاريخيا كبيرا، فهي رمز للحضارة العربية الإسلامية"إذ تشكل خلفية مهمة لدى شعراء الجزائر...لما تحمله من أبعاد دينية وحضارية وتاريخية."[46]، كما تحمل في طياتها رمزا تاريخيا آخر، وهو **صلاح الدين الأيوبي**، هذا ما نجده في الديوان، حيث قال:

يَا قَوْمُ..إِنَّ القُدْسَ..نَائِحَةٌ

هَلْ مِنْ "صَلَاحْ" يَمْنَعُ السَّفَرَا.

وقال أيضا: عُدْ .. يَا صَلاَحُ. .فَالبَلَاءُ أَتَى

وَالقُدْسُ لَيْلٌ.. ظَلَّ مُعْتَكِرًا! (47)

ففلسطين لها تاريخ حافل، والمسجد الأقصى هو أولى القبلتين ومهبط الأنبياء "فأهمية فلسطين تنبع من قداستها لدى المسلمين والمسحيين واليهود، هذا مـــا جعلها محـــل الأنظار والأطماع."(48)

على غرار الأمكنة الأخرى التي تعد في حد ذاتها رمزا تاريخيا كغرناطة، قرطبة، دمشق...إلخ التي تعبر عن حضارة إنسانية، فالشام مثلا كانت بؤرة الحضارة العربية قديما وبالخصوص في العصر الأموي، كما يعبر عن تاريخ الأمة العربية وحروبها وبطولاتها.

وعلى هذا الأساس فالأمكنة عند عز الدين ميهوبي اكتست طابعا دينيا بحتا ،وذلك قصد التعبير عن ثقافته الدينية من جهة، ولتظهر بصمته الدينية على هذا المكان من جهة أخرى، لذلك نجد أن" علاقة الشعر العربي الحديث أو المعاصر بالتراث قوية إلى حد أنها تشكل ظاهرة بارزة و مهمة."(49)

فالمكان قد أصبح ظاهرة دينية بحتة، هذا ما نجده عند عز الدين ميهوبي، إذ وظف المكان بطريقة تضم كل الأبعاد– الدينية منها– بحيث نجده تارة يصرح بأمكنة دينية بطريقة مباشرة كالكعبة مثلا عندما يقول:

كَعْبَةٌ كُنْتِ لِهَذَا الشَّعْب دَوْمًا

صِرْتِ كَالفُرْصِ.. لِمَنْ صَلَّى وَ صَامَا (50)

فالكعبة مكان يعبر عن بؤرة الدين الإسلامي، فهي الانطلاقة التي منها انتشر الدين الإسلامي بفضل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

كما نجد في الديوان اسم لمكان يحمل دلالة دينية وهو" الجنة" في قوله:

إِنْ تَزُرْ فِي الخُلْدِ جَنَّاتٍ فَهَذِي

جَنَّةٌ أُخْرَى..وَإِنْ ظَلَّتْ رُكَامَا! (51)

فالجنة مأوى المسلمين الذين يعملون الصالحات، ولكنها مكان موجود في العالم الآخر الذي ينتظرنا، فالشاعر شبّه الأوراس بالجنة، فالجنة سيدخلها الذي يستحقها بالفعل، والأوراس كذلك يجب أن يعيش فيه الذي يستحقه ويدرك قيمة هذا المكان.

كما ذكر مكانا آخر مخالفا للفردوس وهو" النار" في قوله:

اَلنَّارُ فِرْدَوْسُ الطَّهَارَةِ فَادْخُلُوا..

وَدَعُوا الدِّمَاءَ الكَوْثَرِيَّةِ تُقْسَمُ! (52)

فهذا المكان يحمل دلالة دينية عميقة، لأنه المأوى الوحيد للكافرين العاصين لله تعالى، إذ يحمل معنى الترهيب، عكس الجنة التي تحمل معنى الترغيب،" أما بالنسبة للشخصيات الدينية فتوظيفها في الشعر العربي الحديث كان ميزة بارزة"(53)، هذا ما يتجلى عند عز الدين ميهوبي الذي ذكر إضافة إلى الأماكن الدينية، الشخصيات الدينية كعيسى عليه السلام، والنبي يوسف عليه السلام.

ومن أهم الأمكنة التي تعبر عن الجانب الديني، التي أوردها الشاعر في ديوانه: المساجد، الكنائس، المئذنة...إلخ، ومن هنا ارتفع" المكان المادي الجغرافي المحدد إلى المكان اللانهائي المسافر والمهاجر والحامل لبعده الديني المختزن حضارة الأمة و دينها"(54).

لقد عبّر المكان العادي عن تراث ديني حضاري تاريخي، ولكن" توظيف الأسماء المكانية التاريخية والدينية ومحاكاة هندستها لا يضيف للنص ولا للقارئ أي شيء ما لم يصهر الشاعر كل ذلك في البنية العامة للنص"(55)، وهذا مرتبط بمهارات وقدرات الشاعر الفنية وبكيفية

توظيف المكان الديني داخل النص بطريقة فنية جمالية، بلغة راقية وصورة معبرة تخرج ذلك المكان الجغرافي من إطاره الضيق إلى السعة والرحابة.

فالمكان إذن حامل للبعد الديني التاريخي، وعز الدين ميهوبي في ديوانه عبر عن هذا البعد بطريقة فنية، فتارة يصرح به بطريقة مباشرة كالجنة والنار مثلا، وتارة أخرى بطريقة مخفية تظهر من خلال قراءة المتلقي النموذجي لما وراء الأسطر، كالقدس مثلا وهنا يظهر دور القارئ المتمكن في إدراك هذا البعد والأبعاد الأخرى، فالمكان الواحد يحمل دلالات وأبعادا مختلفة، هذا ما لمسناه عند الشاعر، وهذه جمالية بحتة.

رابعا: تشكيل المكان: الوظيفة و الدلالة :

لقد استخدم عز الدين ميهوبي في ديوانه أمكنة متعددة، حملت أبعادا ودلالات مختلفة(نفسية، سياسية، دينية...إلخ)، ولكن من جهة أخرى نجد أن الشاعر وظف أمكنة عديدة تخرج الأبعاد السابقة عن إطارها لتكتسي أبعادا أخرى ودلالات مهمة،كما يحمل المكان أشكالا عدة وظفها الشاعر في ديوانه وهي:

أ–العلو و الانخفاض:

تعد هذه الثنائية– العلو و الانخفاض– من أهم صفات المكان، فهناك أمكنـــــــة تتسم بالعلو، وأخرى من صفاتها الانخفاض، والشاعر في ديوانه نوع في هذه الثنائية الضدية فتارة يستخدم مكانا عاليا، و تارة أخرى يوظف مكانا منخفضا، وهذا التوظيف لم يأت اعتباطيا، وإنما يعبر عن البنية العميقة للنص، باعتبار أن العلو يمثل الثقافة و الوعي، على عكس الانخفاض الذي يحمل مدلولات سلبية.(56)

ظل الشاعر ينتقل من العلو إلى الانخفاض، ولم يلتزم بهذا الانتقال وإنما نجد بعض المقاطع بدأ فيها من الأسفل إلى الأعلى.

– من العلو إلى الانخفاض :

لقد وردت عدة مقاطع في هذا الديوان، انطلق فيها الشاعر من العلو متدرجا نحو الأسفل ومثال ذلك قصيدة" وتنفس الأوراس"، إذ افتتح الشاعر القصيدة بالفعل(تعلو) قائلا:

تَعْلُو جَبِينَكَ.. غَيْمَتَانِ وَأَنْجُمُ

وَنَوَارِسُ بِرِيَّة.. تَتَوَهَّمُ(57)

وفي القصيدة نفسها يقول:

إِنِّي سَأَطْلُعُ مِنْ شُمُوخِكِ نَخْلَةً..

حُبْلَى..

بِمَا يَلِدُ الفُؤَادُ وَ يَحْلُمُ (58)

فإذا تأملنا هذه الأبيات نجد أنها تعبر عن" العلو"، وما يدل على ذلك:

" تَعْلُو جَبِينَكَ، اَلْغَيْمُ، اَلأَنْجُمُ وَالشُّمُوخُ".

انخفض مستوى هذا العلو إلى الأسفل فجأة في قوله:

ذَابَ التُّرَابُ.. وَنَاحَ آخرُ شَاعِرٍ

وَالعَاشِقُونَ عَلَى الرَّحِيلِ تَرَحَّمُوا (59)

فالتراب موجود في الأرض التي بدورها تتسم بالانخفاض والاستواء، فالعلو في بداية القصيدة دليل على افتخار الشاعر بهذا المكان، فهذا المكان العالي عبر عن همة الشاعر العاليـــــة، ونظرته الإيجابية للمكان، أما عندما انتقل إلى المكان المنخفض فقد طرأ تغيير علـــــى نفسيته المضطربة، فحين كان يمدح ويفتخر، تذكر المآسي والأحزان، حيث تأسف على الوضع الذي آل إليه هذا المكان، فالانتقال إذن من الأعلى إلى الأسفل هو انتقال في حقيقة الأمر من الافتخار إلى التأسف و الحسرة.

وحين يقول الشاعر في قصيدة" شموخ":

بَقَايَا الشَّمْسُ أَنْشُرُهَا.. عَلَى صَدْرِي قَنَادِيلَا!

وَهَذِي الأَرْضُ أَحْمِلُهَا عَلَى كَفِّي.. مَنَادِيلَا! (60)

فإنه ينطلق من العلو إلى الانخفاض، من خلال العنوان" شموخ" بدأ يظهر هذا العلو، إضافة إلى كلمة(الشمس) التي تحتل موقعا مرتفعا من هذا الكون، وسرعان ما يسقط الشاعر من هذا العلو لكي ينزل إلى الأرض، وهذه تقنية جمالية عميقة، وكأن الشاعر ارتفع بالقارئ إلى فضاء لامتناهي ، و فجأة يسقطه إلى مكانه الأصلي(الأرض).

كما نلمس هذا النزول من الأعلى إلى الأسفل في قصيدة" الوطن" في قوله:

فَيَرْحَلُ القَمَرُ الْمسَبِّي مُكْتَئِبًا...
وَيَخْتَفِي الزَّمَنُ الضَّوْئِي فِي الصُّعَدِ!
وَيَصْرُخُ الوَطَنُ المَكْلُومِ.. يَا وَطَنِي
تَقَيَّحَتْ كَلِمَاتُ الأَرْضِ وَ البَلَدِ! (61)

لقد نزل بنا الشاعر من القمر إلى البلد، وهذا النزول يعبر عن نفسيته الحزينة بسبب الأوضاع المزرية التي يعيشها الناس في البلد والعالم ككل، فالقمر يبعث بالتفاؤل، فبمجرد رحيل هذا القمر، رحل معه التفاؤل والأمل، وحل مكان هذا التفاؤل الحزن والكآبة، كما يعبر هذا النزول عن نزول و تدهور حالة العرب عامة، فبعدما كانت الحضارة العربية مزدهرة، نزلت وبلغ بها الانحطاط إلى درجة كبيرة.

وفي قصيدة" عشرون عاصمة" تظهر هذه الثنائية الضدية بدلالة أخرى، ففي قوله:

اَلْغَرْبُ غَرْبَلَنَا.. وَالشَّرْقُ لَمْ يَقُمِ! (62)

فالغرب يمثل أوربا وأمريكا(في الديوان)، أما الشرق فهو رمز للوطن العربي، وعلى هذا الأساس فالغرب يمثل العلو في الثقافة، التطور والوعي، أما الشرق فيمثل انخفاض مستوى هذه الثقافة والوعي.

– من الانخفاض إلى العلو:

لقد تلاعب الشاعر بالأمكنة في ديوانه، بالخصوص في هذه الثنائية، بحيث نجد عدة مقاطع انطلق فيها من المكان المنخفض، ثم يبدأ بالارتفاع شيئا فشيئا، كقوله:

إِنَّ التُّرَابَ إِذَا تَشَقَّقَ وَ اكْتَوَى..
فَمِنَ السَّمَاءِ.. فَنَاؤُهُ وَالْمُقْدَمِ !
أَوْرَاسُ يَلْتَحِقُ الشَّهِيدُ.. بِصَخْرِهِ..
وَتَطِيرُ مِنْ كَفِّ الشَّهِيدِ الأَسْهُمُ !
وَهُنَاكَ يَغْتَسِلُ الصَّبَاحُ بِنُورِهِ

وَتَذُوبُ مِنْ فَرْط الضِّيَاءُ الْأَنْجُمُ![63]

فإذا تأملنا هذه الأبيات نجد أن الشاعر بدأ من الأسفل إلى الأعلى:

- الأنجم أعلى
- تطير أعلى
- السماء أعلى
- التراب أسفل

وكأن الشاعر منغمس فـــي التراب الذي يعبر عن الوطن، بحيث عبر عن معاناتـــــــه وأحزانـــه، وكلما يرتفع ترتفع معه النظرة الايجابية، ويزداد أمله في هذه الحياة باعتبار أن (السماء والأنجم) يعبران عن الراحة والأمل، إذن الارتفاع من الأسفل إلى الأعلى هو ارتفاع في معنويات الشاعر في آن واحد

وقال أيضا:

مَنْ أَنْتِ
وَالأَسْمَاءُ تَكْبُرُ فِي المَحَاجِرِ
وَالتُّرَابْ..
هَذَا الشَّهِيدُ عَرَفْتُهُ..
وَعَرَفْتُ عَاصِمَةَ
السَّحَابِ.. [64]

ففي هذا المقطع انطلق الشاعر من المحاجر والتراب لكي ينتهي بعاصمة السحاب، وهذا الخروج من المنخفض إلى المرتفع هو تعبير عن أمل الشاعر بالخروج من الأزمات والمشاكل إلى الأمل والأعالي.

كما قال:

يَا صَخْرُ
لَنْ أَبرْحَ هَذِي الأَرْضِ..
رَأَيْتُ الطِّينَ يَذُوبْ..
وَأَنْتَ تَضُمُّ النَّارَ إِلَى عَيْنِكَ وَ تَرْحَلُ..

كَانَتْ أُمِّي..
وَطُيُورُ العَالَمِ..
تَأْتِي مَعَ الأَنْهَارِ إِلَيْكَ..
وَالنَّجْمُ الثَّاقِبُ
يَحْمِلُ نَحْوَكَ بَعْضَ الضَّوْءِ
وَيَأْفَلْ.. (65)

ففي هذا المقطع عبر الشاعر عن مكان منخفض وعن مكوناته(صخر، طين)،فهو يرى أمام عينيه وضعية هذا المكان البائس الذي يذوب من فرط الفتن والمآسي، فهو بحاجة ماسة إلى بصيص أمل للخروج مـــــــن هذا الوضع المزري، و عبر عـــــن ذلك بعدة كلمـــــــات" طيور، النجم، الضوء"، وبالخصوص" النجم" الذي يقع في فضاء عال، والذي يضيء للبشر عندما يكونون في ظلام حالك، فهو بحاجة إلى هذا النجم لكي يضيء المكان المظلم الذي يعيش فيه.

ب-الاتساع و الانغلاق:

تعد ثنائية" الاتساع و الانغلاق" من أهم التقاطبات الضدية للمكان، فهناك أمكنة تتسم بالاتساع، وأخرى بالانغلاق، ويكمن الفرق بينهما كون" المكان المتسع يرتبط بالفقر و الفـــــراغ والبرودة، وهو مكان يوحي بذوبان الكيان وتلاشيه، فالإنسان يتيه فيه ويفقد نفسه، أما المكان الضيق يرتبط بالدفء والألفة والحماية حيث يتم التعارف بين الناس."(66)

فالمكان المتسع لا يقصد به" الاتساع" بالمفهوم الذي نتداوله، وإنما المكان الغريب عن الإنسان أين يحس فيه بالتيه والضياع، أما المكان الضيق(المغلق) فهو نفسه مفهوم "البيت" عند باشلار، أي المكان الذي يحس فيه الإنسان بالحماية والدفئ،" ويجسد المكان المغلق في النصوص في شكل صور مكانية مختلفة مألوفة مثل الدار والمدينة والوطن."(67)

فهما مختلفان من حيث المفهوم، لأن المكان المتسع المفتوح يحمل دلالات تخالف المكان الضيق المغلق،" فقد يكون الاتساع في المكان تأكيدا على حرية الفرد، أو تأكيدا على الخروج من الذات إلى الآخر"(68)، وقد يحمل معنى آخر وهو الضياع، فاتساع الأمكنة قد يرمز إلى ضياع الشاعر. (69)

إذا نظرنا في الديوان من زاوية اتساع الأمكنة وانغلاقها، نجد أن الشاعر انطلق من المكان الضيق المغلق إلى الواسع المفتوح، باعتباره انطلق من الأوراس الأشم والجزائر التي تعد مكانا ضيقا بالنسبة له لأنها الوطن، الدفء، الحب والحماية، ثم توسع شيئا فشيئا بدءا من الوطن العربي ككل، ثم توسع أكثر ليخرج عن نطاق العرب إلى الغرب، وهذا التوسع لـــم يأت اعتباطيا، إذ يدل على أن الشاعر إما في حالة ضياع وتيه، فتارة يبقى في الأوراس، وتارة أخرى يذهب إلى القدس وبغداد ودمشق، وكأنه يبحث عن شيء مفقود ولم يجده.

قد تدل هذه الثنائية على أن الشاعر يحس بأنه مقيد، وعليه أن يبحث عن الحرية عن طريق هذا الاتساع، هذا ما يتجلى في قوله:

تَتَكَاثَرُ أَشْجَارُ الَمَنْفَى..
وَيَعُودُ الطَّيْرُ إِلَى التَّغْرِيدِ..
القَادِمُ نَحْوَ بِدَايَتِهِ الأُولَى..[70]

فالمنفى يدل على السجن، وعن شعور الإنسان بالغربة في وطنه، أما التغريد فهو يحيل إلى اتساع الفضاء اللامحدود، فالشاعر بالرغم من شدة حبه وولعه لوطنه واعتزازه به، إلا أن الظروف جعلت منه إنسانا مقيدا يود الخروج من هذا السجن الموجود في نفسه،" فقد لا يكون السجن مكانا محدودا له أبعاد جغرافية معينة، قد تكون النفس هي السجينة داخل الجسد."[71].

وهذا ما يحس به الشاعر، فبالرغم من أنه ينعم بالحرية التامة، إلا أنه في شعور دائم بأنه سجين مكبل،" فقد يمارس الفرد حريته في نطاق حقل يرى فيه كما يشاء، ولكن هذا الحقل يحده سياج صلب لا يستطيع أن يتجاوزه"[72] بسبب أوضاع لا يحتملها هذا الفرد،" فهذا السجن الروحي للإنسان داخل جسده يمتد ليشمل المجتمع، والعالم بأسره."[73]

وكأن الشاعر خرج من المكان الضيق إلى المتسع لكي يبحث عن الحرية، ويفرض ذاته إذ"يرتبط المكان ارتباطا لصيقا بمفهوم الحرية... ويمكن القول أن العلاقة بين الإنسان والمكان هي علاقة جدلية بين المكان والحرية."[74]

ينطبق هذا المفهوم إلى حد كبير على عز الدين ميهوبي، لأنه فعلا خرج من المكان الضيق إلى المتسع، هذا ما ترجمه ديوانه بطريقة مباشرة، فالشاعر يبحث عن الاستقرار النفسي، ولـــم يجده، فوطنه مازال فـــــي حالة لا تعجبه، والوطن العربـــــي راح ضحية

الفتن والطوائف والحـــــروب، أما بالنسبة للغرب فهو يحمل أصلا نظرة سوداوية اتجاهه، فكيف يمكن أن يجد ما يبحث عنه فيه، " فالأماكن الأجنبية أصبحت رمز النفور و الرفض."[75]

ج–دلالة المكان:

– **المقبرة:** لقد ترددت" المقبرة" في ديوان عز الدين ميهوبي بكثرة، هذا ما يدل على أنها تحمل مدلولات عميقة، إذ تجاوز المكان بعده الجغرافي المحدود إلى أبعاد أخرى، يقول الشاعر:

اَلْبَاحِثِينَ عَنِ الوَصِيَّةِ
بَيْنَ أَشْلاَءِ المَقَابِرِ..
وَالوَرِيدْ..[76]

وقال أيضا: وَطَنٌ يُفَتِّشُ عَنْ وَطَنْ
وَعُيُونٌ فَاتِنَةٌ مِنَ– الدَّامُورْ–
تَحْتَضِنُ المَقَابِرَ وَالْكَفَنْ.. [77]

فالقبر يحمل أبعادا شتى، فمن خلال هذه الأبيات نلاحظ أن الشاعر لا يقصد بالقبر ذلك المكان الضيق فقط، وإنما يوحي إلى أمور عدة، " فالقبر يعطي شعورا بالرهبة، وصورته قابضة للنفس... كما عكست القبور إحساسا بالعجز والحاجة إلى الانبعاث والحياة"[78]، وهذا ينطبق إلى حد بعيد على المقطع الثاني، فهو يدل على عجز الوطن العربي وحاجته الكبيرة إلى الانبعاث والحياة الهادئة السعيدة.

كمـــــا يحمل القبر دلالة أخرى،" فهو حيز مكانـــــــي ضيق، إلا أنه يحـــوي الأجداد والأصول"[79]، وكأن الشاعر فـــــــــي كل مرة يذكر فيها " القبر" يذكر الإنسان بأصولـــــه وأجداده، فالإنسان مخلوق من تراب، فالشاعر لاحظ أن الإنسان المعاصر خاصة أصبح ينسلخ عن هويته ويذوب في الآخر، فأراد من هذا المنبر أن يقول لهذا الإنسان عد إلى أصلك وأرض أجدادك كما يدل القبر على" فكرة البعث لتحريك النفوس والمشاعر."[80]

لاحظ الشاعر أن الإنسان أصبح منشغلا وتائها وسط أعماله وحياته، ونسي جانبا مهما وهو التحضير للآخرة، فالقارئ عندما يلمس التكرار الكثير للقبر، فهذا يترك أثرا فـــــي نفسه، كأنه يذكره بالحياة الأبدية، فيبدأ بتحسين نفسه وتقوية إيمانه، فالإنسان خلق مـــــن تراب وسوف يعود إليه حتما.

_الشارع: نلمس كثرة ورود" الشارع" في ديوان عز الدين ميهوبي، فبالرغم من بساطة هذا المكان، إلا أن الشاعر وظفه بمفهوم جمالي آخر، يقول:

مَرَايَا الشَّارِعُ القَدَرِيّ ذَابَتْ..
لِتَشْغِيلِ مِنْ مَدَامِعِهَا شُمُوعًا![81]

فالشاعر جعل من هذا المكان العادي فضاء دلاليا يرمز إلى عدة معان، حيث" أصبح الشارع رمز الحياة التي تمر مر السحاب وتلقي بالإنسان إلى أذرع الموت." [82]

فالشارع بمثابة الحياة التي يعيشها الإنسان، فهو معروف بكثرة مرور الناس فيه، ونفس الشيء بالنسبة للحياة، فهي تمر سريعا كلمح البصر، كما أن" صورة الشوارع والطرقات عبرت عن سخط الشاعر على المدينة وعلى القيود الاجتماعية"[83]، حيث وظف الشاعر هذا المكان لكي يعبر عن مدى رفضه لما يجري في المدينة التي أصبحت مقيدة حيث قال:

يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ فِي شَارِعِ الجَرَبِ! [84]

وقال أيضا: طَارِقُ يَظْهَرُ فِي الشَّارِعِ الْعَرَبِّي حَزِينًا..[85]

نلاحظ أن الشاعر في كل مرة يربط" الشارع" بالوطن العربي، ففي الوهلة الأولى وصفه بشارع الجرب، هذا ما يدل على وضعية هذا الشارع الكارثية، وربط هذه الوضعيـــة بالأمة العربية، أما في الوهلة الثانية كذلك ربط الشارع بالعرب، وكأنهم أصبحوا يعيشون كما يعيش المتشرد المسكين الضائع في الشارع بلا قانون يحميه.

-**الطريق:** تعد " الطريق" من أهم الأمكنة التي وردت عند عز الدين ميهوبي، إضافة إلى مرادفها" الدرب"، وهذا التوظيف له خلفيات ومقاصد يرمي إليها الشاعر، كقوله:

وَاصِلْ طَرِيقَكَ..
أَيُّهَا الْوَطَنُ الشَّرِيدْ..
إِلَى الَجنُوبِ..
إِلىَ الشِّمَالِ..
إِلَى مَنَابِتِ جُرْحِكَ..[86]

كما قال:

لِلْحُلْمِ أَوَّلُهُ وَلِي لُغَةٌ وَقَلْبْ..
وَأَنَا الْوَحِيدُ تَشَقُّنِي سُبُلُ الضَّيَاعْ
وَكَانَ يَغْتَسِلُ الّصغَارُ بِأَدْمُعِي..
وَيُمَزّقُونَ قَصَائِدِي
وَالدَّرْبُ.. الدَّرْبْ! (87)

فالطريق يحمل معنى" الحياة"، ورسم الطريق هو رسم للحياة في آن واحد، والدرب كذلك يعبر عن" الهدف"، ففي المقطع الثاني أراد الشاعر أن يؤكد أنه بالرغم من التصدي الذي لقيه، إلا أنه مصرّ على رسم دربه وتحقيق هدفه.

فالأبعاد التي اكتسبها المكان عبرت عن جمالية هذا الأخير، لأنها رفعت به من المكان المحدود إلى فضاء دلالي خيالـــــي،" فالشاعر قد وقف أمام المكان الواقعي بأبعاده الهندســـــية والجغرافية ليكشفه ويعيد بناءه، مجسدا مكانا شعريا خياليا."(88)

وبهذا فهو لا يقصد الوصف الموضوعي لهذا المكان بقدر ما يهدف إلى تحويله إلى رمز جمالي مفتوح الدلالات، كما أن جماليته تكمن في ذلك الأثر الذي يتركه عند المتلقي، بحيث يتركه في حيرة من أمره لكي يفك هذا الرمز ويفهم معناه العميق، وبهذا يتحول المكان إلى موضوع جمالي،" فالموضوع الجمالي نداء يوجهه الفنان إلى المتذوق."(89)

فهو بمثابة رسالة يوجهها المبدع إلى المتلقي، " هذه الأبعاد التي خصبت صورة المكان... لم تفقد النص الشعري قدرته الترميزية والجمالية... وإنما هي موقف جمالي وأيديولوجي جعل من المكان

علامة مهيمنة حددت من خلالها انتماءها وهويتها."(90)

3-خاتمــة:

انطلاقا مما سبق يمكن الوصول إلى النتائج التالية:

_ إن المكان يفقد واقعيته بمجرد دخوله العالم الشعري، ليتحول إلى فضاء ورمز فني .

_للقارئ دور كبير في عملية تأويل هذا الرمز الشعري وإيحاءاته المختلفة.

_ يكتسي المكان في النص الشعري أبعادا عديدة، منها النفسية التي تعكس ذات الشاعر، ومنها الاجتماعية التي تعبر عن روح الجماعة، ومنها الدينية التي تعكس المبادئ الإسلامية والأخلاقية، وكذلك البعد السياسي الذي يعبر عن الأوضاع التي يعيشها ذلك المكان.

الهوامـــــــش:

1_حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع ،ط1 ،الأردن 2006 ،ص67.

2_محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم، كلية الآداب و اللغات، جامعة منتوري، قسنطينة 2006/2005، ص112

3_ المرجع نفسه، ص115.

4 _المرجع نفسه، ص112.

5_حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، ص85.

6_عز الدين ميهوبي، ديوان" في البدء.. كان أوراس"، دار الشهاب للطباعة و النشر، ط 1، الجزائر 1985.، ص 20،21.

7_عز الدين ميهوبي، المصدر نفسه، ص27.

8_حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي"الفضاء،الزمن،الشخصية"،المركز الثقافي العربي،ط2، المغرب2009، ص30.

9_المرجع نفسه، ص30.

10_حسن بحراوي، المرجع السابق، ص31.

11_محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، ص115.

12_المرجع نفسه، ص128.

13_المرجع نفسه، ص121.

14_محمد الصالح خرفي، المرجع السابق، ص128.

15_عز الدين ميهوبي، الديوان، ص85.

16_محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، ص114.

17_فتحية كحلوش، بلاغة المكان، قراءة في مكانية النص الشعري، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، لبنان 2008. ص244.

18_المرجع نفسه، ص244.

19_يوري لوتمان و آخرون، جماليات المكان، عيون المقالات دار قرطبة، ط2، المغرب 1988، ص220.

20_محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، ص129.

21_المرجع نفسه، ص199.

22_المرجع نفسه، ص130.

23_جمال مجناح، شعرية المكان و هندسة المعنى،دراسة في الفضاءات الملحمية و جماليات الجغرافيا الشعرية في إلياذة الجزائر، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، العدد1، جامعة المسيلة،2009، ص95.

24_عز الدين ميهوبي، الديوان، ص35.

25_محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، ص135.

26_عز الدين ميهوبي، المصدر السابق، ص40.

27_محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، ص148.

28_عز الدين ميهوبي، الديوان، ص43.

29_عبد الإله الصائغ، دلالة المكان في قصيدة النثر"بياض اليقين"لأمين أسبر، الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، سوريا1999، ص45.

30_حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، ص71.

31_ ، المرجع نفسه، ص74.

32_عز الدين ميهوبي، الديوان، ص159.

33_حنان محمد موسى حمودة، المرجع السابق، ص71.

34_عز الدين ميهوبي، الديوان، ص78.

35_حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، ص57.

36_عز الدين ميهوبي، المصدر السابق، ص85.

37_حنان محمد موسى حمودة، المرجع السابق، ص68.

***دمشق**.

38_عز الدين ميهوبي، الديوان، ص82.

39_المصدر نفسه، ص184.

40_محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، ص150.

41_المرجع نفسه، ص152.

42_المرجع نفسه، ص150.

43_عز الدين ميهوبي، الديوان، ص56.

44_محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، ص159.

45_المرجع نفسه، ص160.

46_المرجع نفسه، ص153.

47_**عز الدين ميهوبي**، الديوان، ص193،192.

48_**حنان محمد موسى حمودة**، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، ص73.

49_**جمال مجناح**، شعرية المكان و هندسة المعنى، ص94.

50_**عز الدين ميهوبي**، الديوان، ص39.

51_المصدر نفسه، ص39.

52_ المصدر نفسه، ص19.

53_**حجاب عبد اللطيف**، تقنية توظيف التراث الديني في شعر مفدي زكريا، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، العدد1، جامعة المسيلة، 2009ص56.

54_**محمد الصالح خرفي**، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، ص153.

55_ ، المرجع نفسه، ص156.

56_**ينظر: يوري لوتمان و آخرون**، جماليات المكان، ص76.

57_**عز الدين ميهوبي**، الديوان، ص17.

58_المصدر نفسه،ص47.

59_المصدر نفسه، ص18.

60_ ، المصدر نفسه، ص25.

61_المصدر نفسه، ص90

62_**عز الدين ميهوبي**، المصدر السابق، ص236.

63_المصدر نفسه، ص20.

64_ ، المصدر نفسه، ص28.

65_ ، المصدر نفسه، ص31.

66_يوري لوتمان و آخرون، جماليات المكان، ص63.

67_المرجع نفسه، ص81.

68_المرجع نفسه، ص31.

69_ينظر: حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، ص85.

70_عز الدين ميهوبي، الديوان،ص50.

71_حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، ص101.

72_يوري لوتمان و آخرون، جماليات المكان، ص62.

73_حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، ص101.

74_يوري لوتمان و آخرون، المرجع السابق، ص62.

75_حنان محمد موسى حمودة، المرجع السابق، ص81.

76_عز الدين ميهوبي، الديوان، ص26.

77_المصدر نفسه، ص92.

78_حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، ص104.

79_ ، المرجع نفسه، ص105.

80_المرجع نفسه، ص105.

81_عز الدين ميهوبي، الديوان، ص680.

82_حنان محمد موسى حمودة، المرجع السابق، ص104.

83_حنان محمد موسى حمودة، المرجع السابق، ص103.

84_عز الدين ميهوبي، الديوان، ص238.

85_المصدر نفسه، ص214.

86_المصدر نفسه، ص95.

87_**عز الدين ميهوبي**، المصدر السابق، ص105.

88_**حنان محمد موسى حمودة**، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، ص102

89_**حبيب مونسي**، فلسفة المكان في الشعر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر 2011 ص132.

90_**جمال مجناح**، شعرية المكان و هندسة المعنى، ص102.